سؤال الموت وقلق الوجود في الشعر العربي المعاصر

The question of death and the anxiety of existence in contemporary Arabic poetry

نعيمة بن عروسة [1*] ، أسماء خديم [2]

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر.naima.benarroussa@univ-mascara.dz

[2] جامعة مصطفى اسطمبولي ، معسكر ،الجزائر asma.khedime@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام، 2021/04./10 تاريخ القبول: 2021/05/08 تاريخ النشر: 2021/06/03

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على سؤالي الموت والوجود في الشعر العربي المعاصر ، و ذلك عبر الوقوف عند أهم المحطات التي بحث فيها الشاعر العربي عن معنى الوجود الإنساني من خلال النص الشعري ، بغية إبراز معاناته وقلقه وهواجسه تجاه الطبيعة وتقلباتها ، وتجاه الموت والحياة وقضية الفناء ، ثم المرور إلى بيان كيف أسّس الشاعر المعاصر لوجوده وكيف أثبت ذاته وتغلب على أهم هواجسه الوجودية التي أرقته في حياته ، وكيف أنه اكتشف العالم وانفتح عليه من خلال النص الشعري ، مجسدا بذلك حضوره ومتحررا من مخاوفه وعوائقه منطلقا نحو المستقبل مستشرفا له .

كلمات مفتاحية: الشعر العربي المعاصر .، الوجود.، الموت.، المصير.، الهاجس..

Abstract. This articale aims to shed light on the two questions of death and existence in contemporary Arabic poetry , and we stand at the most important stations in which the Arab poet searched for the meaning of human ewistence through the poetic text ,trying to highlight his suffering , anxiety ,and concerns about nature and fluctuations , and towards death , life and the issue of annihilation ,so ,that we arrive at a statement How did the contemporary poet establish his existence and how did he prove and overcome his most important ewistentrial concerns that had plagued him since his birth, and how he discovered the world and opened up to it through the poetic text , thus embodying his presence and

* المؤلف المرسل: نعيمة بن عروسة

liberating from his fears and obstacles and proceeding towards the future looking forward to him.

Keywords: Contemporary Arabic Poetry, Presence, Death, Destiny, Obsession.

1. مقدمة :

كانت حياة الشاعر العربي القديم مرتبطة ببيئته إلى حد كبير، فلم يكن يطمح إلى البحث عن الأمور الغيبية أو الميتافيزيقية ، واقتصر تفكيره على أحواله اليومية ومعيشته ولم يخرج عن هذا الإطار الواقعي ، كان يعيش حاضره محاولا التغلب والتأقلم مع بيئته الصحراوية ومناخها القاسي ، وقد جاء نظمه للشعر تابع لحياته اليومية منحصرا في التعبير عن الأغراض النفعية المادية ولكن هذا لا يمنع من القول ان الشاعر العربي القديم كان يعيش قلقا وجوديا دفعه إلى محاولة التعبير عن ذلك من خلال القصائد الشعرية بشكل عفوي دون قصد منه ، فقد كان الشاعر قديما ،وبالتحديد الشاعر الجاهلي يعيش فراغا وفوضى وتشتت فكري انعكس في قصائده التي امتزجت فيها مشاعر الخوف والقلق والضياع، نلمس من خلالها بحثه المستمر عن الحرية والخلاص والسعي للخلود طالبا لحياة أبدية.

الشاعر العربي المعاصر في سعيه إلى التجديد ونبذ القديم والثورة عليه ،توجه للوجودية كخطوة جريئة لمواكبة الحداثة الشعرية العالمية ، ومن هنا فقد عمل جملة من الشعراء المعاصرين على معالجة أسئلة وجودية تخص الذات الشاعرة والإنسان العربي بالدرجة الأولى ، حيث عمد رواد القصيد ة المعاصرة إلى طرح قضايا وجودية أرقت الشاعر والمفكر العربي وشغلت تفكيره وأثارت قلقه وحيرته تجاه الأوضاع الراهنة في محالة منه للتعبير عنها ومجابهتها والتخفيف من حدتها وألمها ، وكان سؤال الموت وهاجسه اهم هذه المواضيع الوجودية التي شغلت النص الشعري الحديث ، كما تطرقت القصيدة المعاصرة على يد

كبار الشعراء العرب المعاصرين إلى تغيير في الأوزان والألفاظ متجاوزة لكل المفردات والصيغ والتراكيب التقليدية وجعلها تواكب وتساير الطرح الأنطولوجي الجديد .

الإشكالية التي يتصدى لها هذا المقال نسوغها كالآتي: كيف كانت نظرة الشاعر العربي المعاصر للموت والوجود؟ هل بقت أسيرة للنظرة التقليدية أم تجاوزتها؟ وهل استطاع الشاعر تجاوز مخاوفه وهواجسه الوجودية؟ .

فرضيات المقال:

01 . الشعر العربي المعاصر استلهم في تصديه لسؤال الموت والوجود الفلسفة الوجودية الغربية..

02.الشعر العربي المعاصر انخرط بشكل جذري في منغصات الحياة في المجتمعات العربية.

03.الشعراء العرب المعاصرون كانوا أكثر جرأة في التصدي لأسئلة الحياة والوجود.

اعتمدنا في هذا المقال على المنهج التحليلي النقدي، والمنهج التأويلي، من أجل استجلاء مكامن السؤال الوجودي في النصوص الشعرية العربية المعاصرة.

2. القلق الوجودي في الشعر العربي المعاصر :

شغل سؤال الوجود فكر معظم الشعراء القدماء وكذا المعاصرين، فتحولت القصيدة المعاصرة إلى صوت يعبر به الشاعر عن همه وقلقه الوجودي محاولا البحث عن الخلاص والتحرر والتخلص من الاضطراب والخوف المستمر، حيث عكف شعراء القصيدة النثرية المعاصرة بالبحث عن التجديد ومناشدة التحرر ورفض الركود والخمول والجذب، والتفاؤل بحياة مستقبلية مريحة.

يسعى الشاعر إلى الانخراط في قضايا وأحداث واقعه الوجودية والكيانية ، يؤثر ويتأثر بها بوصفه انسانا واعيا يمتلك من الوعي والإحساس ما يجعل منه منفعلا وفعالا تجاه المسائل الوجودية التي تمس البشرية وتهدد كيانها ،والموت هو انفعال يدفع بالشاعر إلى الكتابة والتعبير عن ذاته وعن غيره ومن هنا تتولد لديه رؤية خاصة تجاه الموت ،ويصبح الموت عنده مجرد انفعال عابر يحاول تقبله:" ومن ثم يتكون في حياة الشاعر الانفعالي مثلث من القيم زواياه الثلاث هي : الانفعال والشعر والموت .فالشاعر يحب الانفعال لأنه يؤدي إلى الشعر .على انه يلاحظ أن الانفعال هو الموت ، لان الأول طريق محتم للثاني ...ومن ثم تبدأ مرحلة من الغرام بالموت نفسه تقابل الغرام بالشعر " (نازك الملائكة، 1974 ،305) يعمل الشاعر

على نقل تجربته الوجودية من خلال النص الشعري ، وكان الموت وهاجسه أهم المواضيع الوجودية التي ركز عليها الشاعر وأولى لها اهتماما خاصا رغبة منه في التعبير عن توتره تجاه الموت وبغية التخلص من هذا التوتر والقلق الذي يشغل تفكيره والتخفيف من حدته ،وتبليغ رسالة للقراء بتقبله وتجاوز مخاوفهم تجاهه.

2-1 تجليات السؤال الوجودي عند الشاعر العربي المعاصر:

زاد اهتمام الشاعر العربي بالوجود واشكالاته وأصبح سؤالا ملحا على كل ذات شاعرة واعية وطامحة للوصول إلى الحقيقة وإلى إثبات وجودها وكيانها وترك بصمتها الشعرية حول الوجود وقضاياه. عالج إيليا أبو ماضي(Elia Abu Madi (1890-1957 سؤال الوجود من خلال ديوانه الطلاسم حيث تساءل الشاعر عن أصل وجوده وكيف خلق و كيف مشى وتقدم في قوله:

"جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي

لست أدري (إيليا أبو ماضي، د.ت، 191)

يطرح ايليا سؤال "كيف" للدلالة على الجهل وعدم استبيان الأمر كأنه يريد إجابات مقنعة تفسر سبب خلقه والهدف منه، فهو تائه يمشي في طريق مفتوح ولا يعلم أين يريد الوصول وكيف بدأ بالمشي أصلا، وكل ما يعرفه هو مشيه الدائم وسعيه للحصول على جواب لسر وجوده وحياته وولادته. يحاول إيليا من خلال هذا المقطع الإفصاح عن الغموض الذي يختلجه حول وجوده وتكوينه والغاية منه، فيغدو الجهل والغموض سمة لصيقة بالشاعر يريد الإجابة عنها وتجاوزها من أجل الإبصار والوضوح وممارسة وجوده كذات فاعلة تعي سر وجودها وكيانها. " يقصر أبو ماضي علمه أنه قد جاء وأبصر الطريق ومشى لا غير، وهو محاط بجهالات من كل جهة عدا أنه قد جاء وأبصر الطريق ومشى ولكنه لا يعلم كيف جاء ولا كيف أبصر طريقه إلى آخر ما بعده من الأمور التي يجهلها «(أحمد الشيخ عبد الحميد

السماوي، 1968، 09) يخيم الجهل على شعر إيليا أبو ماضي محاولا الاستبصار والوقوف على الحقيقة، و معرفة الدور الأنطولوجي الذي خلق من أجله الإنسان والغاية المرجوة من ذلك، آملا أن يجد إجابات عن مجمل الأسئلة التي تدور في عقله تجاه هذا الوجود .

يواصل الشاعر طرحه للأسئلة بغية كشف الغموض وتفسير خبايا الوجود ، وتجاوز العدم والفراغ الذي يلفه من الداخل ، فيتسأل عن العدم ومفهوم لأنه شيء غير مرئي وغير موجود فكيف له أن يعيه ، فهو بالنسبة لا حقيقة له ولاوجود فعلي له، وقد اختلط عليه الأمر بين وجوده وعدمه واختلطت الأسئلة وفاضت بداخله عن العدم هل هو حقيقي أم لا وما علاقة العدم بوجوده، جملة من الأسئلة تملأ نفس الشاعر دون الإجابة عنها ،وهذا ما استدعى بدوره أسئلة تخص وجوده الذي اختلط بالعدم حيث أنه « ماج تيار وجوده بوجوده لأنه لما نظر لوجوده رأى أن هناك ألف جهة وجهة فهو وجود ، ولا يصدر من اللاشيء شيء وأنه حادث والحادث مسبوق بالعدم فإذا كان لوجوده اقتضاء أن يوجد بذاته فلماذا لم يكن موجودا قبل ذلك (أحمد الشيخ عبد الحميد السماوي،1968 ،11)

تساءل الشاعر أيضا عن ساعة قدومه أهي قديمة أم جديدة، وتساءل عن حريته في هذا الوجود هل هو مسير أم مخير، هل هو من يقرر من نفسه أم هناك من يفرض عليه الأوامر ويشرع له القوانين، فهو يتمنى أن يجد إجابات لكنه يختمها بأنه لا يدري، فهو كالتائه في هذا الوجود لا يعي وجوده ولا سببه من عدمه وما سبب خلقه وما الغاية منه وهذا ما نلمسه في قوله:

"أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حر طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن ....

لست أدري" (إيليا أبي ماضي، د.ت، 19) طَرح الشاعر أسئلة أنطولوجية هادفة بغية الاستفسار وفك الغموض وتجاوز التيه وهو بهذا يثبت وجوده وذاته وكيانه حتى ولو لم

يفصح عن ذلك لكن بطرحه لهذه الأسئلة يبرز الهم الوجودي والقلق المنبعث من نفسية الشاعر التي تسعى لفهم سر وجودها ووظيفتها في هذا العالم .

3 : السؤال الوجودي في المتن الشعري العربي المعاصر

3-1 هاجس الموت:

أرق سؤال الموت الإنسان منذ الأزل وحتى في الوقت الحالي بصفته حتمية وجودية لا مفر منها، وهو حدث متوقع في أية لحظة، والشاعر بوصفه إنسانا مرهف الحس دائم السعي للبحث في قضايا الوجود وتفسيرها، ومحاولاته الدائمة لفهم واستبيان سؤال المصير وثنائية الموت والحياة والخلود، فالشاعر «أكثر إحساسا بقضية الموت والفناء، لأنه أكثر تأملا في الوجود والعدم، يستبطن الأشياء، يتغلغل فيها بحثا عن حقيقتها، يتابعها وهي في أوج حركتها وديمومتها، إنه يكسر الحاضر الآني، منطلقا إلى الآتي". (عبد الناصر هلال، 2005، 16) تطرق الشاعر إلى مسألة الموت وعالجها من خلال القصيدة المعاصرة بحثا منه على الحقائق المطلقة، فللشاعر دور في تخفيف الألم والتعرض لمنغصات الحياة من خلال نصه الشعري باعتباره دائم التفكير في قضايا الوجود واشكالاته.

شكل سؤال الموت أهم القضايا الوجودية التي شغلت الشاعر العربي المعاصر وأرقته فاحتوت الكثير من النصوص الشعرية على ثنائية الموت و الحياة ، بحيث حازت هذه الثنائية "اهتماما كبيرا من شعراء الرحلة الخيالية وتباينت مواقفهم منها ، وبدا نزوعهم في معالجة هذه المسألة رومانتيكيا تغلفه غلاله من الألم و التشاؤم" (علي حداد، 2000، 97) حاول الشاعر المعاصر أن يعبر عن قلقه الوجودي ومصيره وخوفه من الموت وحبه للحياة والخصب ومجابهة الهواجس التي تؤرقه وتخيفه ، كما سعى الشاعر إلى البحث عن حل وتعويض يعبر به عن وجوده وقلقه اتجاه الموت مواساة نفسه وتشجيعها على الانطلاق والتجدد .

حاول الشاعر العربي التعبير عن قلقه وحيرته تجاه الموت باعتباره أمر حتمي ملازم للوجود الإنساني، وكان الشعر هو الملاذ والملجأ الذي سمح للشاعر بالإفصاح عن مخاوفه وهواجسه الوجودية، خاصة قضية الفناء، في محاولة منه لفهم مصيره ووجوده وكذا

التخفيف من قلقه تجاه الموت والانتصار على الرعب الداخلي الذي شتت فكره وأقلق مضجعه. ومن هنا تصبح علاقة الشاعر بالموت علاقة جدلية وجودية تفرض نفسها على الساحة الشعرية العربية وتجعل من الشاعر المعاصر ذاتا فاعلة تساهم في حل أزمات وغموض الانسان الراهن في محاولة منه للالتفاف حولها مؤكدا على شعوره وحسه المرهف ومثبتا في نفس الوقت لوجوده " فليل الموت كأكبر ألم ، يضحى صيغة بناء جديدة للإنسان ممتدة في الزمن المطلق المفتوح على عوالم الأنا والآخر حيث يثري به وجوده ووجود الآخرين، بما يحمله من دفء إيماني يتوسل به إلى دار الخلد الأبدية ليثبت تحرره من الشعور العدمي والوجودي المتضخم بالموت ، ومن ثم فإن الشاعر لا يشعر بذلك الإشكال المتأزم في الذات الوجودية بين حب الحياة وتهديد الموت وإنما يعرضها كحقيقة لفها الوجود." (محمود حسن إسماعيل، 1964 ،230-232) .

عالج بدر شاكر السياب(1926-1964)Badr Shakir al-Sayyab سؤالي الموت والوجود من خلال قصائده الشعرية، فكان سؤال الموت أهم الأسئلة الوجودية التي لفتت انتباه الشاعر وعمد إلى تفسيرها محاولا الإجابة عنها، فربط الموت بالانبعاث وإعادة التجدد في الحياة وهذا ما نلمسه في قصيدة (المسيح بعد الصلب)التي قال فيها :

أنت؟ أم ذاك ظلي أبيض وأرفض نورا؟

أنت من عالم الموت تسعى؟ هو الموت مره

"هكذا قال آباؤنا هكذا علمونا، فهل كان زورا؟

ذاك ما ظن لما رآني وقالته نظره " (بدر شاكر السياب، 1971، 459)

يرى السياب أن هناك حياة أخرى أبدية بعد الموت سوف يعيشها الإنسان وهي الحياة الحقيقية والواقعية، ومن هنا دعا السياب إلى عدم الاكتراث بالموت في الحياة ولا القلق تجاهه أو الخوف منه لأنه بداية لحياة أخرى، وقد شبه السياب حياة الإنسان العادي بحياة المسيح عليه السلام مشيرا إلى أنه سوف يحيا بعد موته ويحقق مجدا وخلودا أكثر مما كان عليه في الحياة الأولى.

عانى الشاعر من ويلات الاستعمار وظلمه وسلبه لحقوق المواطن العربي، ورأى الشاعر وعايش التنكيل والتقتيل الذي تعرض له شعبه من جراء المستعمر الغاشم حيث تركت هذه التجربة الأليمة في نفسه خوف وقلق تجاه وجوده وتجاه حياته، فحاول الشاعر التعبير عن ذلك من خلال النص الشعري الذي رأى فيه السبيل للتعبير عما بداخله من حزن وألم تجاه الحياة والوضع المعاش حيث انتشر الموت بكثرة وأصبحت الجثث ملقاة في الشوارع وأصبحت نفس المواطن العربي رخيصة عند العدو، هذا ما عبر عنه السياب في قوله:

"الموت في الشوارع

والعقم في المزارع

وكل ما نحبه يموت

الماء قيدوه في البيوت

وألهث الجداول الجفاف

هم التتار أقبلوا ففي المدى رعاف

وشمسنا دم وزادنا دم على الصحاف" (بدر شاكر السياب: الديوان ، 1984، 467) تحدث الشاعر بشؤم ومرارة عن الحياة وعن انتشار الموت والجثث في الشوارع بسبب الاستعمار وبكى بحرقة و بحسرة عن القحط والجفاف الذي أصاب المزارع والحقول وجفاف منابع المياه ، فهو يجسد الحياة في تلك الفترة معبرا عن الجذب والفناء الذي صاحب المجتمع العراقي أثناء الاستعمار وبطشه ،فكانت نبرته يملأها القلق والخوف والتشاؤم تجاه الحياة والوجود ، فالموت خطف من الشاعر كل شيء يحبه أو يبعث عن الحياة وسلبه الراحة والطمأنينة ، وهذه النظرة العدمية التي اكتسحت شعر السياب ترجع إلى العصر والوضع الذي عايشه الشاعر والذي طغى فيه الاستعمار وما صاحبه من ظلم وعدوان و موت وحصاد للأرواح والخصب وجفاف المياه ، وأي شيء يزهر إلا فتك به وأفناه .

يرى البياتي (Abd al- Wahhab Al-Bayati(1926-1999 أن موهبته الشعرية تتجاوز الأدوار البسيطة الساذجة فوظيفة الشاعر أو الكاتب هنا هي الوصول إلى قول الحقيقة وتخليدها

والسعي إلى تجربة عوالم جديدة والدخول في مغامرات وجودية والبحث فيها ليبقى الجهد البشري كأبرز دليل على سعي الإنسان ودوره في تفسير الوجود وكشف غموضه وهذا ما أكده في قوله : "إنني أحس أن كتابة الشعر نوع من المعادل لوجود الإنسان الذي يفنى في كل لحظة ،إنه الوجه الثاني للواقع والوجود " (منير العكش ، 1979، 216) يوازي البياتي بين الشعر وحقيقة الوجود ، يرى أن للكتابة الشعرية دور أنطولوجي يساهم في فهم الوجود وتفسيره ، فالشعر هو بمثابة الميثاق الذي يؤسس للوجود ويجعل من الشاعر شخصا متميزا عن غيره كاشف للحقيقة باحثا عنها ،ولا يقتصر دوره الشعري فقط على الأغراض النفعية العملية .فالقول الشعري الذي يبحث في الوجود هو قول أزلي ثابت لا ينفى إلا بفناء البشرية فهو يتجاوز فناء الشاعر الخاص لكن يبقى حي كسؤال أنطولوجي ملح يفرض نفسه على كل ذات حالمة تهدف إلى إدراك المعرفة وتحصيلها .

تطرق البياتي إلى معاجلة الأسئلة الوجودية في العديد من دواوينه الشعرية والقصائد التي كانت محملة بثقل الطرح الأنطولوجي ، الباحث عن المعرفة وجذورها ، عبرت نصوص البياتي وكشفت عن قلقه وشغفه المتواصل بالبحث والاكتشاف ،ومن بين هذه القصائد ذات الصيغة الوجودية نجد " أباريق مهشمة" و "النار والكلمات" و " سفر الفقر والثورة " وغيرها ، والمحلل لهذه القصائد يجد فيها مزيجا من التأثير الماركسي مع الوجودية العربية فكانت تعالج مسائل الذات الشاعرة وكذا الإنسان العربي وهمومه وهواجسه تجاه قضايا الوجود وإشكالاته فجمعت هذه القصائد بين طموح الشاعر وآلام وأحلام الفرد العربي المعاصر الهادف للتحرر والعيش بسلام ، وعكست حال . "الشاعر العربي الحديث الرافض للظلم وللقهر وللخنوع والذل والمنفي من وطنه والمغرب والمتشيء، يفقد هويته ووجوده، فيصبح مجرد شكل، ولشدة التباسه بشعره يصبح الشعر وطنه وهويته. فالشعر هو علامة الوجود والبرهان عليه، وهو علامة على التبتل والتفرغ للتصوف، ولمناجاة الله (منصور قيسومة، 2016، 125)

يقول البياتي في قصيدة الموتى لا ينامون:

"عائشة*ماتت، وها سفينة الموتى بلا شراع

تحطمت على صخور شاطئ الضياع

قالت، ومدت يدها: الوداع

أراك بعد الغد، في المقهى، وغطت وجهه سحابه

من الدموع، بللت كتابه

عائشة ماتت، ولكني أراها تذرع الحديقة

فراشة طليقة

لا تعبر السور، ولا تنام". (عبد الوهاب البياتي، 1995، 71-72) أحس الشاعر بعمق سؤال الموت وجديته، وكون نظرته الخاصة تجاهه وحاول في هذه في القصيدة المزج بين ثنائية الموت والحياة والذي عبر عنه من خلال الرمز عائشة التي تموت في البداية لكنها تنهض وتتجدد وتعاود النهوض والحياة لتبعث على الخصب، فجدلية الموت والحياة عنده أمر ضروري ووجودي للحياة البشرية، فالنفس القوية لا تستسلم للموت بل تكرر النهوض وتكسر جدار الخوف والقلق وتبعث على حياة جديدة ملؤها التفاؤل والعيش والامتلاء بالطاقة والتجدد.

تطرق صلاح عبد الصبور(1931-1981)Salah Abdel Sbour هو الآخر للأسئلة الوجودية التي كانت تؤرقه وتشغل تفكيره، فهو من أبرز الشعراء المعاصرين الذين أولوا اهتماما خاصا للوجود واشكالاته، فكانت أسئلة الموت والحياة حاضرة وبقوة من خلال نصوصه الشعرية لما تحمله هذه الإشكالية من أهمية كبرى في حياة الإنسانية بكونها قضية وجودية بحتة تسعى الذات لفهمها وفك غموضها ، والشاعر بدوره حاول الوقوف على هذا المعطى الوجودي ومعالجته بحثا منه عن الحقيقة، فالموت عنده لا يشكل هاجس أو اضطراب كما كان عند العديد من الشعراء بل تحدث الشاعر في العديد من المرات عن استعداده له وتقبله له كونه حقيقة بشرية ملازمة وشاملة للبشرية دون استثناء، وأن لا خلود للذات الإنسانية بل مصيرها الزوال والفناء وهذا ما عبر عنه في قوله: " ما دمت أدرك أن كل شيء يموت ....ومادامت أرى رفاقي من حولي يتساقطون صرعى واحد إثر الآخر فمبالي إذن لا أعرف أني ميت ، فإذا تيقنت من هذه المعرفة وثبتت وقائعها في وجداني وخلدي ، فأنا إذا أعيشها في كل لحظة فكأني أموت كل لحظة أو كأنني أعيش موتي " (مديحة عامر ، د.ت، 251)علاقة الشاعر بالموت تبادلية وجودية فكل منهما يثبت الآخر ،فالموت والفناء فيه دلالة عن الحياة

و الوجود والعكس كذلك ، فالشاعر هنا يعبر عن راحته التامة ونظرته المستشرقة للموت ، فهو مقتنع به كحدث يشمل كل الإنسانية وليس حكرا على البعض فقط ، فهو يعيش الموت في كل خطوة من خطوات حياته ويتوقع حدوثه في أية لحظة لذلك هو مطمئن النفس ومرتاح الضمير لا يأبه به ولا يقلقه هاجسه .

يرى صلاح عبد الصبور أن للشاعر المعاصر دور أنطولوجي يسعى من خلاله إلى تبسيط أسئلة الوجود والتقليل من الكآبة والحزن والعبث الذي ظهر مع الوجودية ، فهو شاعر لا يتقبل الهزيمة والتشتت أمام قضايا ومستجدات الوجود فهو يسعى من خلال شعره إلى مجابهة الموت وتقبله وتجاوز هاجسه ، فكان شعره وفق أسلوب بناء يسعى به لمواجهة اضطرابات الوجود وتقلبات الحياة بنظرة إيجابية هدفها إزالة الغموض وتجاوز كل مظاهر الخوف والتشاؤم التي تؤرق الإنسان المعاصر بما فيه الشاعر المرهف الحس الهادف للتغيير والبناء ليكمل رسالته الوجودية التي بعث من أجلها يقول :"للشاعر رسالة مقدسة حتى يكمل دور الإله في الخلق " (صلاح عبد الصبور ،1980، 54) الشاعر عند صلاح عبد الصبور لا يوجد عبثا وقصائده ليست مجرد أقاويل للهو أو المرح ، بل له وظيفة أنطولوجية تساهم في رفع الغبن عن البشرية وإزالة ستائر الألم وكشف الحجب عن الحقيقة والوقوف عليها .

كتب الشاعر قصيدة» الملك لك " وطرح فيها مجموعة من الأسئلة الخاصة بغاية الإنسان ومصيره في هذا الوجود متسائلا عن دوره الأنطولوجي وعن سبب تغيره من إنسان فعال في الحياة محب وحالم إلى مجرد جثة هامدة تدفن تحت التراب في قوله:

"وفي حفرة من حفار الطريق

وهبنا للأرض باسم النبي

وجاء رجال، رجال غلاظ

ودقوا الحديد على قبره

حديث الطريق....

يوم كان قويا تضج الحياة بشريانه، ويفوح العرق

لو الأرض لم تزدره إليها، أكان الحديد عليه يدق ...؟

ومن موته انبثق صحوتي

وأدركت يا فتنتي أننا

كبار على الأرض لا تحتها كهذا الرجل." (صلاح عبد الصبور، 1986، 57) يصور الشاعر مشهد الموت ودفن الإنسان الذي كان يوما ما قوي فوق الأرض يعيش طموحاته وأحلامه ليجد نفسه فجأة تحت التراب بدون قوى وبدون مهرب، ليبعث رسالة للحي الذي يقابله أن الموت آت لا محالة، فمهما عظم شأن الإنسان وعلا صيته فهو منقاد إلى قدره فما عليه إلا تقبل ذلك والاستعداد له. وعلى الشاعر المعاصر أن يكون السباق لفهم هذه الحقيقة ومواجهتها ذلك «إن الشعر المعاصر يكتنز تجربة مواجهة الموت. وبهذا المقدار من الوعي الشعري تقيس مكانة الموت في هذا الشعر. تجربة الموت في هذا الشعر اختيار فردي مشروط بتاريخية. وهي أيضا ما يجعل الموت مستحقا لأنه في هذه الحالة يكون قلبا لتصور الشعر والموت معا." (محمد بنيس، 2001، 248) يسعى الشاعر المعاصر إلى الافصاح عن مشاعره وانفعالاته تجاه الموت من أجل اكتشاف ذاته والوقوف على أهم هواجسها الوجودية ومعالجتها وكذا مشاركة تجربته الشعرية مع الآخر الذي يتقاسم معه معاناة الوجود واضطراباته، وهذا ما من شأنه أن يكسب الشعر صبغة إنسانية ترقى به وتجعله معالج ومساند للقضايا التي تهم الذات البشرية.

استمر البحث عن سؤال الوجود لدى مجموعة من الشعراء المعاصرين على غرار أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر- Adonis1930) الذي انصب اهتمامه وشمل شعره وتطرق لمواضيع وجودية تهم الفرد العربي وتبرز قيمته ووعيه، فقد سئل مرة لماذا تكتب؟ فأجاب:" لأشعر أنني موجود ولأمارس هذا الوجود " (منير العكش ،1979، 125) يحاول أدونيس إثبات وجوده من خلال الشعر، وبفضله يعبر عن كينونته ويمارس وجوده كشاعر متمرس مبدع يعي وجوده ويستشعره، وهذا ما نلمسه في العديد من النصوص الشعرية عنده خاصة قصيدة "أغاني مهيار الدمشقي" و"أوراق في الريح " وغيرها من القصائد الشعرية ذات المغزى الأنطولوجي. أشار أدونيس أن للشاعر الجديد مهمة هي ابتكار أنماط شعرية جديدة غير مألوفة محددا في الوقت نفسه التجربة الشعرية الجديدة هي فرصة للخروج عن السائد

والمألوف وفرصة للإبداع والتميز في القصيدة الجديدة، لذلك عمد أدونيس على عكس غيره من الشعراء إلى استخدام الرمز في القصيدة الجديدة للتعبير والدلالة على كثير من المعاني وتجلى ذلك بشكل لافت في ديوانه أغاني مهيار الدمشقي (تعتبر قصيدة أغاني مهيار الدمشقي أهم القصائد التي كتبها أدونيس وتعد بصمة خاصة به استطاع من خلالها توصيل صوته وإبراز ذاته كشاعر متميز ومتأصل).

اهتم أدونيس بشكل كبير بثنائية الموت والانبعاث كونها جدلية تصف الوجود وتعبر عنه، ذلك أن الوجود الإنساني يستمر من خلال التقاء هذين الضدين كمصدرين للفناء وإعادة البعث والتجدد " كون قدسية الحياة تتجسد من خلال قدسية الموت، وأهمية الموت قدرا حاسما في حياة الإنسان، مصدر منعه الوجود " (عناد غزوان ، 2000، 46)الموت معطى وجودي ضروري لا بد منه ولا يستطيع أحد إنكاره أو تجاوزه فمن خلال الموت نتوصل إلى القيمة الحقيقية والجوهرية للحياة ،حتى أننا نستطيع أن نثبت وجودنا من خلال هذا الموت الذي ربما لا ترغب فيه الذات الإنسانية في كثير من الأحيان وتراه شرا يتربص بها .

لجأ ادونيس إلى رموز ميثولوجية في محاولة منه التعبير عن الوجود الإنساني وتفسيره وكذا فهم لغز الموت، فكان رمز الفينق* كرمز للوجود الأبدي اللامتناهي، معتبرا أن وظيفة الشعر هي وظيفة وجودية كيانية، تسعى للبحث في كينونة الذات وملامسة أغوار الوجود يقول في نشيد الغربة:

"فينق إذ يحضنك اللهيب، أي قلم تمسكه؟

الزغب الضائع كيف تهتدي لمثله؟

وحينما يغمرك الرماد، أي عالم تحسه؟

وما هو الثوب الذي تريده-اللون الذي تحبه؟

وما تعاني حينما تهمد لكل خلجة؟

والسحر الذي امتلكت شمسه الأميرة

فينق ما يكون؟

وما تكون الكلمة الأخيرة-الإشارة الأخيرة؟ (أدونيس، 1996، 68) يتساءل أدونيس متلهفا عن الحياة الأخروية مخاطبا الفينق طارحا عليه أسئلة غيبية يحاول الشاعر من خلالها الوصول إلى الإجابة عنها، وهذا هو أسلوب الشاعر الطموح المكتشف المتعطش لفهم ومعرفة العالم الميتافيزيقي وعالم ما بعد الموت.

شكلت صدمة موت والد أدونيس حرقا عقدة وخوف وقلق وتشاؤم تجاه الوجود وسؤال الموت، فاتجه أدونيس للشعر للتعبير عن هذا القلق الوجودي ساعيا إلى فهم سؤال المصير وكشف غموضه فتوصل من خلال جدلية الموت والحياة أنهما كمتناقضين أساسيين يعبران عن سؤال الوجود وتقرير المصير لذلك وجب تقبل الموت، والوقوف في وجه الألم والخوف والتغلب عليه. يقول أدونيس:

"أبي غد يخطر في بيتنا

شمسا وفوق البيت يعلو سحاب

أحبه سرا عصيا دفين

وجهة مغمورة بالتراب

أحبه صدرا رميما، وطين

على بيتنا، كان يشهق صمت ويبكي سكون

لأن أبي مات، أجدب حقل وماتت سنونو" (أدونيس، 1988، 35) يحكي أدونيس عن حبه وتعلقه بأبيه باعتباره سندا له، ليبكي بعد ذلك بكل حرقة عن موته حرقا وعن الوقع والجرح الذي خلفته هذه الحادثة على نفسيته وعن تغير حياتهم هو وإخوته بعد فقدان والدهم، وعن بيتهم الذي أصبح يسوده السكون والحزن والكآبة جراء فاجعة الموت، كما عكست هذه الأبيات نظرة الشاعر السوداوية والمتشائمة تجاه الموت وقلقه المستمر نحوه، كونه يمس وجوده ويهدد استقراره ويخطف منه أحباؤه بشكل مباغت.

ازداد اشتغال الشعراء المعاصرين بسؤال الوجود ومصير الإنسان، وأصبح للشاعر دور يتجاوز النص الشعري وما يتعلق به من أوزان وتراكيب وقوافي، وأصبح يساهم في حل قضايا

ومشاكل مجتمعه وواقعه المشتت خاصة بعد الحروب والبطش الذي تعرض له الانسان العربي، ومن هنا شكل سؤال الوجود والكينونة هاجس الشعراء المعاصرين وأصبح موضوعا للنقاش يدعو للتأمل والدارسة والتحليل. يعتبر محمود درويش (1941-2008) Mahmoud Darwichمن أبرز الشعراء المعاصرين الذين أرّقهم سؤال الوجود وبحثوا في إشكال الموت وعالجوه من خلال قصائدهم ونصوصهم الشعرية، متأثرا بالثقافة والفلسفة الغربية فكان من القراء والباحثين في الفكر الغربي حيث حاول أن ينهل من الفكر الفلسفي ويسقطه على نصوصه الشعرية، فكان من بين الأوائل الذين طرحوا سؤال الموت والحياة وتساءل عن مصير الإنسان ووجوده.

أحس محمود درويش بهشاشة الحياة وقرب الأجل فلم يشكل سؤال الموت قلقه أو خوفه بل راح يعبر عنه بكل صدر رحب محاولا استشرافه، بل حتى أنه يراه حلا يريح الإنسان المظلوم المسلوب الحقوق والمضطهد ، حيث برز سؤال الموت بشكل كبير في قصائده جاعلا من الشعر ديوانا يتبنى الأفكار الفلسفية الوجودية ."هكذا راح درويش يدمج أسئلته الشعرية والفكرية بالفلسفة ، وظل يطرح سؤال الوجود العميق بقوة والسؤال عن زمن الولادة والموت وأسئلة الخطيئة ...حتى فلسفة الوجود والعدم ربطها درويش بوجوده وفنائه وبوطنه وفقده ، فكأنه ولد محاصرا أو مسكونا بثنائيات من مثل الموت والحياة ، والشك واليقين ...، ليجسد العلاقة بين تلك الثنائيات " (بسام موسى قطوس، 2019، 46-47)

سعى درويش إلى البحث عن حل لمشاكل الانسان المعاصر و في محاولة منه الإجابة عن سؤال المصير والوجود قام درويش بالتطرق والبحث في أسئلة الوجود (الموت و الحياة، الحرية ..) فلقد " وقف درويش أمام الموت الجمعي في سبيل تحقيق هدف الانتصار على مغتصب الأرض والمكان انتصارا للنشيد الأبدي ، والثانية حين استجاب لندائه الجمالي ولخبرته الفكرية والفلسفية فعالج موضوعه الموت بوصفها مفهوما فلسفيا ملغزا ومجردا ومتعاليا ، فأعلى من لسان الذات ،وصدح بفردانيته، وتوحد مع جرحه الخاص، (عبد السلام المساوي ، 2009، 16) اعتبر درويش الشعر صفة مرادفة للإنسان وراح يعبر من خلاله عن وجوده وتطلعه للحرية ونفيه للمغتصب بكل قوة وشجاعة ، فكان الشعر مع درويش بمثابة السلاح الذي يستعمله الشاعر للتصدي للمحتل من جهة وأداة ووسيلة لإثبات الذات العربية و التعريف بالقضية الفلسطينية ودعوة إلى تحرير الأرض المغتصبة من جهة أخرى .

وصف درويش الموت وملاحقته له في العديد من القصائد وبيّن الموقف البطولي للإنسان الفلسطيني منه، ورأى أن هذا الأخير ينتظر الموت في أي لحظه فهي صفة تلاحقه وتلازمه، فهو كظله يتبعه أينما كان غير أن الفلسطيني لا يخشاه، بل يقبل عليه بكل شجاعة وثبات، وهذا ما صوره درويش في المقطع التالي من الجدارية في قوله:

"يا موت يا ظلي الذي

سيقودني يا ثالث الاثنين

يا لون التردد في الزمرد والزبرجد

يا دم الطاووس يا قناص قلب

الذئب، يا مرض الخيال

اجلس على الكرسي. (محمود درويش، 2004، 484) تحدث الشاعر عن ملاحقة الموت وترصده له وشبهه بظله الذي لا ينقطع عنه، مصورا قوته ودقته في الإصابة وتحديد الهدف، كما أعرب الشاعر عن قوته وشجاعته وإصراره على مواجهة مخاطر العنف والاعتقال والموت والتغلب والانتصار عليه فهو ينتظره في أية لحظة بكل صمود وتحدي، فهو مثال عن كل فلسطيني ثائر محب لعروبته ووطنه الطامح إلى تحرير الوطن فداءً بنفسه وروحه، فهو رمز للتحدي والمقاومة والثبات على العهد من أجل إثبات وجوده وحقيقة قضيته والإيمان بها.

4. **خاتمة**: من خلال تحليلنا للقصائد وللنماذج الشعرية الوجودية عند الشعراء المعاصرين تبين لنا :

- ✓ أن نصوص الشاعر العربي المعاصر جاءت ذات معنى أنطولوجي يعبر عن وعي وإدراك الشاعر المعاصر لوظيفته الشعرية ورسالته الهادفة إلى التغيير وتجاوز التفسيرات الخرافية والتقليدية الخاصة بالوجود وأسئلته خاصة سؤالي الموت والعدم ، كما عبرت هذه القصائد وعكست الواقع العربي وكانت بمثابة الشاهد على ألم وعمق إحساس الشاعر ووعيه بقضايا وطنه ومدى مشاركته الفعالة من أجل

البناء ، فأكد معظم الشعراء على بقاء القصيدة شاهدة على اهتمام أصحابها بالوجود و قضاياه ، وسعيهم الدائم للتقدم والوصول وكشف الحقيقة ومعاينتها وتجاوز كل مظاهر الألم والبطش الحرمان التي عاشها الإنسان العربي المعاصر جراء الحروب و الحملات الاستعمارية ، داعين في الوقت نفسه إلى اقتراح فلسفة جديدة للوجود، تختلف عن الفلسفة الوجودية الغربية ، فجاءت فلسفتهم تدعم التحرر وتقضي على البؤس والعدم وتؤسس لوجود عربي يحمل آمال وطموحات الإنسان العربي الهادف للتغير والبناء .

- ✓ ارتبط الشاعر المعاصر بأحداث عصره وقضاياه. و سعى إلى معالجة قضايا فلسفية مست وجوده وحياته وشغلت فكره، و كان حريصا كل الحرص على إعمال العقل والمنطق والدخول في العالم الفلسفي ومحاولة تفسيره وكشفه وازالة الغموض عنه ، فبالرغم من حب الشاعر المعاصر للحياة وولعه بها إلا أن شعره طغت عليه النزعة الفلسفية الوجودية التي ذكرته دائما بوجوده وفنائه ومصيره خاصة سؤال الموت وما صاحبه من ألم وخوف وقلق وتقبل واعتراف به في الأخير ، كما ساعدت هذه النظرة الفلسفية الوجودية الشاعر على التأمل في أسرار الكون والدخول في عالم الميتافيزيقا والعالم الغيبي ومحاولة تفسير العالم الآخر ومكنته من فهم قضايا وجوده وجعلته يسعى ويحث على الزهد في الحياة والتقليل من الإقبال عليها و الإسراف في ملذاتها .
- ✓ عمل الشاعر المعاصر على التقليل من مخاوفه تجاه الموت وعدم الخوف من الفناء أو الجزع منه بل يجب تقبله واعتباره حقيقة وجودية لازمة فهو حكمة إلاهية تعم وتشمل جميع الخلائق، وما علينا إلا تقبله بكل هدوء وروية ومواصلة الحياة والإقبال عليها دون خوف أو جزع، و وتغيير نظرتنا السوداوية للحياة والموت وتقبله وتجاوز هواجسه..

5-قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد الشيخ عبد الحميد السماوي، (1968)، مع إيليا أبي ماضي في طلاسمه، شبكة كتب الشيعة.

- أدونيس، (1996)، الأعمال الشعرية كاملة، هذا اسمي وقصائد أخرى، ج2، دمشق، سوريا المدى للثقافة والنشر
- أدونيس، (1988)، قصائد أولى، بيروت، منشورات دار الآداب.
- إيليا أبي ماضي، (د.ت)، الديوان، الطلاسم، بيروت، دار العودة.
- بدر شاكر السياب، (1971)، الديوان، بيروت، دار العودة.
- بدر شاكر السياب، (1984)، الديوان، المجلد الأول، بيروت، دار العودة.
- بسام موسى قطوس، (2019)، درويش على تخوم الفلسفة، أسئلة الفلسفة في شعر محمود درويش، عمان، الأردن، دار فضاءات.
- صلاح عبد الصبور، (1986)، الديوان، بيروت، دار العودة.
- صلاح عبد الصبور، (1980)، كتابة على وجه الريح، بيروت، الوطن العربي للنشر والتوزيع.
- عبد السلام المساوي، (2009)، جماليات الموت في شعر محمود درويش، بيروت، دار الساقي.
- عبد الناصر هلال، (2005)، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، القاهرة مركز الحضارة العربية.
- عبد الله البياتي، (1995)، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- علي حداد، (2000)، الخطاب الآخر مقاربة لأبجدية الشاعر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- عناد غزوان، (2000)، أصداء دراسات أدبية نقدية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- محمد بنيس، (2001)، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها (الشعر المعاصر)، ط3، الدر البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر.
- محمود حسن إسماعيل، (1964)، قاب قوسين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- محمود درويش، (2004)، الأعمال الجديدة، رياض الريس للكتب والنشر.
- مديحة عامر، 1984 قيم فنية وجمالية في شعر صلاح عبد الصبور، مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- منصور قيسومة، (2016)، الاتجاه الرمزي في الشعر العربي الحديث تونس، الدار التونسية للكتاب.
- منير العكش، (1979)، أسئلة الشعر في حركة الخلق وكمال الحداثة وموته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- نازك الملائكة، (1974)، قضايا الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار العودة.

* الفينق: phoenix- phenix طائر مصري أسطوري فيما يقال أجمل ما تكون الطيور ، كان يظهر مرة كل خمسة قرون-في مصر ، قادما إليها من أعماق جزيرة العرب ، ليحل في هليوبوليس (معبد رع –الشمس) ، وهو فريد من نوعه ، يبني محرقة موته بنفسه .ويشعل فيها النار بحركة جناحيه حتى إذا احترق واستحال رمادا نهض –مرة أخرى – من رماده فتيا مخلدا)

* عائشة: وظف البياتي الرمز الأسطوري عائشة للتعبير عن الوطن والأرض والام والمدينة، فهي الوطن والسند الذي نعود إليه ليحتضننا عندما نواجه أي ألم أو خيبة، وهي رمز الحياة وإعادة الانبعاث والتجدد والصمود أمام الموت، تبعث على الخصب والأمل والتفاؤل.